مواقف المتواضعين

مواقــف عربيــة

مواقف المتواضعين

التواضع لغة: مصدر تواضع أي أظهر الضّعة، وهو مأخوذ من مادّة (و ض ع) الّتي تدلّ على الخفض للشّيء وحطّه، يقال: وضعته بالأرض وضعا، ووضعت المرأة ولدها.

والوضائع قوم ينقلون من أرض إلى أرض يسكنون بها، والوضيع الرّجل الدّنيّ، والدّابة تضع في سيرها وضعا وهو سير سهل يخالف المرفوع.

واصطلاحا: إظهار التّنزّل عن المرتبة لمن يراد تعظيمه، وقيل: هو تعظيم من فوقه لفضله، وفي الرّسالة القشيريّة: التّواضع هو الاستسلام للحقّ وترك الاعتراض في الحكم [1].

وهناك فرق بين التّواضع والمهانة (أو الذّلّ) أنّ التّواضع يتولّد من بين العلم بالله سبحانه ومعرفة أسمائه وصفاته ونعوت جلاله وتعظيمه ومحبّته وإجلاله، ومن معرفته بنفسه وتفاصيلها وعيوب عملها وآفاتها، فيتولّد من ذلك كلّه خلق هو التّواضع وهو انكسار القلب لله وخفض جناح الذّلّ والرّحمة لعباده فلا يرى له على أحد فضلا ولا يرى له عند أحد حقّا، بل يرى الفضل للناس عليه والحقوق لهم قبله، وهذا خلق إنّما يعطيه الله عز وجل من يحبّه ويكرّمه ويقرّبه.

وأمّا المهانة (الذّلّ) فهي الدّناءة والخسّة وبذل النّفس أو ابتذالها في نيل حظوظها وشهواتها كتواضع السّفل في نيل شهواتهم وتواضع طالب كلّ حظّ لمن يرجو نيل حظّه منه فهذا كلّه ضعة لا تواضع والله سبحانه يحبّ التّواضع ويبغض الضّعة والمهانة.

وقد قال الله عز وجل :{ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾} [الفرقان: ٦٣].

وقد قال الحبيب محمد ﷺ قال:**"ما من آدمي إلا في رأسه حكمه بيد ملك فإذا تواضع قيل للملك : ارفع حكمته وإذا تكبر قيل للملك : ضع**

(1) مدارج السالكين (6/ 134). وفتح الباري (11/ 341)، دليل الفالحين لابن علان (3/ 50).

حكمته[1].

و عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أحبوا المساكين فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول في دعائه :"**اللهم ! أحيني مسكينا وأمتني مسكينا**[2] **واحشرني في زمرة المساكين**"[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"**ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**"[4].

وقال المسيح عليه السلام : طوبى للمتواضعين في الدّنيا، هم أصحاب المنابر يوم القيامة، طوبي للمصلحين بين النّاس في الدّنيا، هم الّذين يرثون الفردوس يوم القيامة.

وقال أبو بكر الصّدّيق رضي الله عنه وجدنا الكرم في التّقوى، والغنى في اليقين، والشّرف في التّواضع.

عن عائشة رضي الله عنه قالت: تغفلون أفضل العبادة: التّواضع.

وعن جرير بن عبد الله - رضي الله عنه أنّه قال له سلمان رضي الله عنه : يا جرير
تواضع لله. فإنّ من تواضع لله في الدّنيا رفعه الله يوم القيامة.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: من تواضع لله تخشّعا رفعه الله يوم القيامة، ومن تطاول تعظّما وضعه الله يوم القيامة.

وسئل الحسن البصريّ عن التّواضع ؟ فقال: التّواضع أن تخرج من منزلك ولا تلقى مسلما إلاّ رأيت له عليك فضلا.

---

(1) المعجم الكبير (12939)، تعليق الألباني " حسن "، صحيح الجامع (5675)، الصحيحة (538).

(2) مسكينا: هذه المسكنة ليست التي يرجع معناها إلى القلة، وإنما سأل المسكنة التي يرجع معناها إلى الإخبات والتواضع.

(3) الترمذي (2352) باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم، ابن ماجه (4126) باب مجالسة الفقراء، واللفظ له، تعليق الألباني " صحيح ".

(4) رواه مسلم والترمذي وقال الألباني : (صحيح) انظر حديث رقم : 5809 في صحيح الجامع.

و سئل الفضيل بن عياض - رحمه الله عن التّواضع؟ فقال: يخضع للحقّ، وينقاد له ويقبله ممّن قاله، ولو سمعه من صبيّ قبله، ولو سمعه من أجهل النّاس قبله.

وقال عروة بن الورد: التّواضع أحد مصايد الشّرف، وكلّ نعمة محسود عليها صاحبها إلاّ التّواضع.

ومن فوائد التواضع جملة:

- التّواضع خلق كريم من أخلاق المؤمنين ودليل محبّة ربّ العالمين.
- وهو طريق موصل إلى مرضاة الله وإلى جنّته.
- وهو السّبيل إلى القرب من الله ومن ثمّ القرب من النّاس.
- التّواضع عنوان سعادة العبد في الدّارين.
- يحبّ الله المتواضعين ويكلؤهم برعايته ويحيطهم بعنايته.
- المتواضعون آمنون من عذاب الله يوم الفزع الأكبر.
- وهو دليل على حسن الخاتمة وعلى حسن الخلق.
- التّواضع يؤدّي إلى حصول النّصر والبركة في المال والعمر.

ومن المواقف:

كنّا أذّل قوم فأعزّنا الله بالإسلام:

وخرج عمر بن الخطّاب رضي الله عنه إلى الشّام ومعه أبو عبيدة بن الجرّاح فأتوا على مخاضة وعمر على ناقة له فنزل عنها وخلع خفّيه فوضعهما على عاتقه وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا؟ تخلع خفّيك وتضعهما على عاتقك وتأخذ بزمام ناقتك وتخوض بها المخاضة؟. ما يسرّني أنّ أهل البلد استشرفوك. فقال عمر: أوّه [1]، لو يقل ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالا لأمّة محمّد ﷺ إنّا كنّا أذّل قوم فأعزّنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزّ بغير ما أعزّنا الله به أذلّنا الله[2].

(1) أوه: كلمة توجع وتضجر.
(2) الحاكم في المستدرك (1/ 62) وصححه ووافقه الذهبي.

فوضعني الله حيث يترفّع النّاس:

وعن عمرو بن شيبة؛ قال: كنت بمكّة بين الصّفا والمروة فرأيت رجلا راكبا بغلة وبين يديه غلمان يعنّفون النّاس. قال: ثمّ عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت على الجسر فإذا أنا برجل جاف حاسر طويل الشّعر. قال: فجعلت أنظر إليه وأتأمّله، فقال لي: مالك تنظر إليّ؟. فقلت له: شبّهتك برجل رأيته بمكّة ووصفت له الصّفة، فقال له: أنا ذلك الرّجل. فقلت ما فعل الله بك؟ فقال: إنّي ترفّعت في موضع يتواضع فيه النّاس فوضعني الله حيث يترفّع النّاس.

هذا والله الملك الهنيء:

ولما ورد المرزبان على عمر رضي الله عنه فأورد باب دار وقرع بابه فقيل: إنه قد خرج آنفاً فكانوا يسألون عنه فيقولون مر من ههنا آنفاً، فاستحقر المرزبان أمره إلى أن انتهى إليه وهو نائم في ناحية المسجد، فلما رفع رأسه امتلأت نفس المرزبان منه رعباً فقال: هذا والله الملك الهنيء، لا يحتاج إلى حراس ولا إلى عدد!

أتدري من هذه ويحك؟:

ومن التواضع المأثور ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خرج ويده على المعلى، فلقيته امرأة من قريش فقال له: يا عمر، فوقف لها فقالت: كنا نعرفك مرة عميراً ثم صرت من بعد عمير عمر، ثم صرت من بعد عمر أمير المؤمنين، فاتق الله يا بن الخطاب، وانظر في أمور الناس، فإنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت خشي الفوت. فقال لها المعلى: إيها إليك يا أمة الله فقد أبكيت أمير المؤمنين، فقال له عمر: أتدري من هذه ويحك؟ هذه خولة بنت حكيم التي سمع الله قولها من سمائه، فعمر أحرى بأن يسمع قولها ويقتدي به.

إن كان إلا شيطاناً أذهبه الله بك:

وأقبل رجل يمشي مرخياً يديه، طارحاً رجليه يتبختر، فقال له عمر رضي الله عنه: دع هذه المشية فقال: ما أطيق، فجلده فترك التبختر؛ فقال عمر: إذا لم أجلد في مثل هذا ففيم أجلد؟ فجاءه الرجل بعد ذلك فقال: جزاك الله خيراً إن كان إلا شيطاناً أذهبه الله بك.

ميل المأمون إلى التواضع:

قال : ونظر يوماً إلى رؤوس آنيته محشوةً بقطنٍ وكانت قبل ذلك بأطباق فضةٍ، فقال لصاحب الشراب : أحسنت يا بني إنما يباهي بالذهب والفضة من قلا عنده، وأما نحن فينبغي أن نباهي بالأفعال الجميلة والأخلاق الكريمة، فإياك أن تحشو رؤوس أوانيك إلا بالقطن فذاك بالملوك أهيأ وأبهى.

أما تعرفني؟:

عن مطرف بن عبد الله بن الشخير نظر إلى المهلب بن أبي صفرة وعليه حلة يسحبها ويمشي الخيلاء فقال: يا أبا عبد الله، ما هذه المشية التي يبغضها الله ورسوله؟ فقال المهلب : أما تعرفني؟ فقال : بل أعرفك ، أولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وحشوك فيما بين ذلك بول وعذرة [1].

ولما شبت صرت مرائياً:

ودخل عليه رجل، فقال له: " ما حاجتك؟ "، قال: " زيارتك " فقال: " أما أنت فقد فعلت خيراً حين زرت، ولكن انظر ما ينزل بي أنا، إذا قال لي: من أنت لتزار؟. من الزهاد؟ والله. أنت من العباد؟ لا والله. أنت من الصالحين؟. لا والله ". ثم أقبل يوبخ نفسه " كنت في الشبيبة فاسقاً، ولما شبت صرت مرائياً ".

ثم صاروا يراؤون بما لا يقولون ولا يفعلون:

قال ثابت البناني: دخلت على داود الطائي، فقال لي: ما حاجتك؟ قلت: زيارتك. قال: ومن أنا حتى أزار ليس من العباد أنا لا والله ولا من الزهاد أنا لا والله ثم ضرب بيده على لحيته وأقبل على نفسه يوبخها. وقال: كنت في زمن الشباب فاسقاً ، ثم تبت فصرت مرائياً والله إن المرائي لشر من الفاسق ويقال: كان الناس يراؤون بما يفعلون لا بما يقولون ، فصاروا يراؤون بما يقولون ولا يفعلون ثم صاروا يراؤون بما لا يقولون ولا يفعلون [2].

---

(1) أدب الدنيا والدين، 291/1.

(2) الوطواط، غرر الخصائص الواضحة، 1 / 23.

احتيج إلي؟!:

وعن سفيان عن أبيه عن إبراهيم النخعي قال: سألته عن شيء فجعل يتعجب يقول: احتيج إلي؟! احتيج إلي؟!

ما وجدت أحداً فيما بيني وبينك تسأله غيري!؟ [1]**:**

وقال أبو حصين: أتيت إبراهيم النخعي أسأله عن شيء فقال: ما وجدت أحداً فيما بيني وبينك تسأله غيري[2].

وإن زماناً أكون فيه فقيه الكوفة لزمان سوء:

وعن ميمون بن أبي حمزة قال: قال لي ابراهيم النخعي: لقد تكلمت ولو وجدت بداً ما تكلمت، وإن زماناً أكون فيه فقيه الكوفة لزمان سوء[3].

لخشيت المقت من الله:

خرج أيوب السختياني في سفر فشيعه الناس، فقال: لولا أني أعلم أن الله يعلم من قلبي لهذا كاره لخشيت المقت من الله [4].

عطاء بن رباح: قد خبث زمان يزار فيه مثلي:

كان رضي الله عنه إذا حدثه أحد بحديث وهو يعلمه يصغي إليه كأنه ما سمعه قط لئلا يخجل الرجل.

وكان يقرأ في قيامه في صلاة الليل المائتي آية أو أكثر وكان إذا استأذن عليه أحد لا يفتح له، حتى يقول له: بأي نية جئت إلي؟ فإذا قال: لزيارتك يقول ما مثلي من يزار ثم يقول: قد خبث زمان يزار فيه مثلي.

وكان يقول: من جلس مجلس ذكر كفر الله تعالى عنه بذلك المجلس عشرة مجالس من مجالس الباطل، وكان رضي الله عنه مولى لأبي ميسرة الفهري، نشأ بمكة[5].

(1) أبو نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، 64/4.
(2) المصدر السابق، 226/4.
(3) المصدر السابق، 223/4.
(4) الزمخشري، ربيع الأبرار، 1 / 207.
(5) الشعراني، الطبقات الكبرى، 36/1.

ثيابي تضعني عندك أو ترفعني؟:

دخل سيار أبو الحكم على مالك بن دينار في ثياب جياد، فقال له مالك: مثلك يلبس هذا اللباس؟!فقال: ثيابي تضعني عندك أو ترفعني؟

قال: بل تضعك. فقال: هذا التواضع.

ثم قال: يا مالك، إني أخاف أن يكون ثوباك قد أنزلا بك من الناس ما لم ينزلا بك من الله.

إنما مالك حمار!:

قال ابن شوذب: قسم أمير البصرة على قرائها، فبعث إلى مالك بن دينار، فأخذ، فقال له ابن واسع: قبلت جوائزهم؟قال: سل جلسائي.

قالوا: يا أبا بكر! اشتر بها رقيقا، فأعتقهم.

قال: أنشدك الله، أقلبك الساعة على ما كان عليه؟

قال: اللهم لا، إنما مالك حمار، إنما يعبد الله مثل محمد بن واسع.

يقولون: مالك زاهد!أي زهد عند مالك وله جبة وكساء؟:

كان مالك بن دينار يقول: يقولون: مالك زاهد!أي زهد عند مالك وله جبة وكساء؟إنماالزاهد عمر بن عبد العزيز، أتته الدنيافاغرة فاها، فأعرض عنها[1].

أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة، وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة:

ولما نظر مالك بن دينار إلى المهلب بن أبي صفرة يجر أذياله ويتبختر في أثواب خيلائه، ناداه أن ارفع من ثيابك. فقال له المهلب: أوما تعرفني؟ قال له مالك: بلى إني أعرفك، أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة، وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة

(1) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 37 / 335.

هَكَذَا تَجْلِسُ الْعَبِيدُ بَيْنَ يَدَيْ أَرْبَابِهَا:

قَالَ السَّرِيَّ بْنَ مُغَلِّسٍ، " غَزَوْتُ رَاجِلًا فَنَزَلْنَا خِرْبَةً لِلْرُومِ، فَأَلْقَيْتُ نَفْسِي عَلَى ظَهْرِي، وَرَفَعْتُ رِجْلِي عَلَى جِدَارٍ، فَإِذَا هَاتِفٌ يَهْتِفُ بِي: " يَا سَرِيُّ بْنُ مُغَلِّسٍ، هَكَذَا تَجْلِسُ الْعَبِيدُ بَيْنَ يَدَيْ أَرْبَابِهَا " [1].

كذا تجالس الملوك؟:

قال سري السقطي: صليت وردي ليلة ومددت رجلي في المحراب، فنوديت: يا سري كذا تجالس الملوك؟ قال: فضممت إليّ رجلي ثم قلت: وعزتك لا مددت رجلي أبداً [2].

* * *

(1) الخطيب البغدادي، المنتخب من كتاب الزهد والرقائق، تحقيق د. عامر حسن صبري، نشر دار البشائر الإسلامية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، 1420هـ - 2000م، ص 111.

(2) بغية الطلب في تاريخ حلب، 4 /241.